حكايات من القرآن

الدكتور محمد عمر الخاجي

الوليد بن المغيرة

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

في آخِرِ سَهْرَةِ يومِ الخَمِيسِ: لَيْلَة الحادي عَشَر من شَهْرِ رَبيعٍ الأَغَرّ... وبينما كان الجَدُّ والأولادُ والأمُّ يَجْلِسُون في صَالُونِ البَيتِ.. ويَتَحادثُونَ عنِ احتفالاتِ المُسْلِمينَ في شَهْرِ رَبيعٍ الأوَّل؛ بِأَعْطَرِ ذِكْرياتِهم.. وهي مَوْلِدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ إذا بجرسِ الهاتفِ يَرنُّ بشكلٍ قَويٍّ..

رَفَعَ (أبو خالدٍ) سَمَّاعةَ الهاتفِ.. وإذا بصوتِ (نوَّار) وهي تقولُ: السَّلامُ عليكَ يا أخي.. كيف حالُكَ.. كيفَ حالُ زَوْجَتِكَ والأولاد..؟ أريدُ أَنْ أُحادِثَ والدي الشَّيخ.. إذا لم يكنْ قد نامَ بَعْدُ..

أعطى (أبو خالدٍ) سَمَّاعةَ الهاتِفِ لوالِدِهِ.. فطلبتْ نوَّارُ من والِدها.. وَرَجَتْهُ أَنْ يَقْبَلَ دَعْوَتَها..

هو وبيتُ أبي خالدٍ جميعاً غداً بعدَ صَلاةِ الجُمُعةِ..

سأَلَها والدُها: وما هيَ المُناسبةُ يا أمَّ عاصمٍ؟

أجابَتْهُ: لقد تَخرَّجَ (عاصمٌ) في الجامعةِ.. وكنتُ قد نَذَرْتُ للهِ أن نقرأَ له مَوْلداً نبوياً في البيتِ. وشاءَ اللهُ أَنْ يتناسَبَ ذلك معَ ذِكْرى المولدِ..

ولكنْ يا ابنتي.. المسافةُ بين اللاذقية ودمشقَ بعيدةٌ.. والصَّحةُ ليست على ما يُرامُ كما تَعْلَمِينَ سابقاً..! ولستُ أدري هل أخوكِ مَشْغُولٌ أَمْ لا؟

ولكنَّ (أمَّ عاصمٍ) أعادَتْ تأكيدَ الدعوةِ.. وألحَّتْ على والدِها بالقبولِ.. وازْدَادتْ إلحاحاً بِقَوْلِها: ألا تُحِبُّ حُضُورَ احتفالاتِ مَوْلدِ رَسُولِ اللهِ..؟!

قال الشَّيْخُ: بإذنِ اللهِ نكونُ عندكم غَداً قبلَ صَلاةِ الجُمُعَةِ..

ولمَّا أخبرَ الجَدُّ بخبرِ الذَّهابِ غداً إلى دمشقَ.. قَفَزَ الأولادُ مِنَ الفَرَحِ.. وقالتْ (بُشْرى): سنمضي

يوماً جَميلاً عند بيتِ عَمَّتي (أمِّ عاصمٍ).. آه لقد اشْتَقْتُ إلى ابنةِ عَمَّتي (عَلْياء).. متى ستطلعُ شمسُ الغدِ يا جَدِّي؟

وهَكَذا اتَّفَقُوا على الذَّهابِ في الصَّباحِ الباكرِ.. وانطلقَ الجميعُ إلى غُرَفِ النَّوْمِ. وفي الصَّباحِ الباكرِ اسْتَيْقَظَ الجَدُّ.. وراحَ يُصَلِّي بعضَ الصَّلواتِ قبل أَنْ يُؤَذِّنَ لصلاةِ الفَجْرِ..

وحين نادى المُنادِي: اللهُ أَكْبَر ... حَيَّ على الصَّلاة.. الصَّلاةُ خَيرٌ مِنَ النَّوْمِ..

اسْتَيْقَظَ (أبو خالدٍ وزَوْجَتُه).. واستيقظَ الأولادُ أيضاً.

وبعدَ أداءِ صلاةِ الفَجْرِ.. وتَناوُلِ بَعْضِ أَنْوَاعِ الفَواكِهِ الطَّازَجةِ.. رَكِبُوا في السَّيَّارَةِ ، وانْطَلَقُوا وهم يتوكَّلُون على الله سُبحانَهُ وتَعَالى...

وبَعْدَ أَنْ قَطَعتِ السَّيَّارةُ بِضْعَ عَشراتِ الكِيلو

متراتٍ.. بدأتِ الشَّمْسُ بالشُّروقِ..

فطلبَ خالدٌ مِنْ جَدِّهِ أَنْ يَحْكِيَ لهم حكايةً من ذِكرياتِ طُفُولَتِه أَوْ شَبابِهِ..

رَفَعَ الجَدُّ حاجِبَيْهِ مُعْلِناً عَدَمَ القَبُول.

قال (طارِقٌ): وَلِمَ ذلك يا جدِّي.. لقد عَرَفْنَاكَ دائمَ الخَيْرِ والعطاءِ.. فلماذا تَبْخَلُ عَلَينا بِحكايةٍ من حِكاياتكَ؟!

تَبَسَّمَ الجَدُّ ، ثم قال: ولكنِّي سَأَحْكِي لكم ـ كما وعَدْتُكُمْ منذُ أيام ـ حكايةً تَتَعلَّقُ ببعضِ جوانبِ حياةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قالَتْ (بُشْرىٰ): نَعَمْ يا جَدِّي.. فما أَجْمَلَ الحكاياتِ القُرآنيةَ.. والحكاياتِ عن رَسُولِ الله ﷺ.

من تاريخ الوليدِ بنِ المُغِيرة..

في مَكَّةَ المُكَرَّمة.. وقَبْلَ بعثةِ رَسُولِ الله ﷺ ،

نَشَأَ (الوليدُ) في أُسْرَةٍ غَنِيَّةٍ.. وشريفةٍ.. وصاحبةِ جاهٍ وزَعامةٍ دائماً.

لذلك لمّا تَرَعْرَعَ (الوليدُ) وكَبُر.. أُطْلِقَ عليه لقبُ: ريحانةُ قريش... وبلَغَ به الأمرُ أن أصبحَ أحدَ قُضاةِ العَرَبِ في الجاهِليَّةِ.

ولمَّا أُرْسِلَ نبيُّنا محمدٌ بالحَقِّ.. التفتَ (الوليدُ) ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِّمالِ. ثم تساءَلَ: هل مِنَ المَعْقُولِ أن ينزلَ القرآنُ على مُحمَّدٍ ، وأُتْرَكَ أنا ، وأنا كبيرُ قريشٍ وسيِّدُها؟ ويُتْرَكُ أبو مَسْعُودٍ الثَّقَفيُّ سَيِّدُ ثقيفٍ.. ونحنُ عُظَماءُ القَرْيَتَيْنِ.. مكَّةَ والطَّائِف..؟!

سألَ (طارِقٌ): أَلاَ حَدَّثْتَنا عن كَثْرَةِ مالِ (الوليدِ) يا جَدِّي؟

أجَلْ يا طارق ـ تابعَ الجَدُّ القولَ ـ: لقد كانَ

الوليدُ يملكُ الأموالَ الطَّائلةَ ، حتى قِيْلَ إنَّهُ كان يملِكُ من الفِضَّة والذَّهَب ما لا يستطيعُ عَدَّهُ أَوْ حِسابَهُ!!

لكنَّ (الوليدَ) كان رَجُلاً جَوَاداً.. يُعْطِي الكثيرَ.. ويُطْعِمُ حُجَّاجَ بيتِ اللهِ اللَّحْمَ والسَّمْنَ و.. وفوقَ هذا كلِّه فقد أنعمَ اللهُ عليه بنعمةِ البنين الذُّكُور ، فكان له عَشرةٌ من الذُّكور.. وكانُوا جميعاً أبطالاً فُرْساناً.. ومنهم البطلُ خالدُ بنُ الوليدِ رضي الله عنه.

مؤامرةٌ فاشلةٌ!!

إذاً ماذا يفعلُ (الوليدُ) أمامَ دعوةِ رَسُولِ اللهِ؟ ذاتَ يومٍ دَخَلَ البيتَ الحرامَ ، فرأى كِبَارَ أهلِ مكَّة وصَنَادِيْدَها مُجْتَمِعين عند الكعبةِ.. فاقترحَ عليهم أَنْ يَذْهَبُوا إلى عَمِّ رسُولِ اللهِ ﷺ (أبي طالبٍ)

ويُناقِشُوهُ في قَضِيَّةِ ابن أَخيْهِ مُحَمَّدٍ ﷺ. وقال لَهُمْ: أرى أَنْ تُعْطُوهُ بَدلاً من محمدٍ ابني هذا (عُمارَة)!!

وانْطلقَ القَوْمُ إلى أبي طالبٍ.. فَعَرَضَ عليه (الوليدُ) ذلك.. فردَّهم رَدَّاً قَوِيَّاً، وقال لهم: واللهِ لَبِئْسَ ما تَسُومُونَنِي!! أتُعْطُوني ابنكم أَغْذُوهُ لَكُمْ، وأُعْطِيْكُمْ ابني تَقْتُلُونَهُ؟

هذا واللهِ لَنْ يَكُونَ أبداً!!

فراحَ الوَليدُ يُفَكِّرُ في طريقةٍ جَديدةٍ للوقوفِ في وَجْهِ دَعْوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ..

وذاتَ يومٍ دَخَلَ على زُعَماءِ مَكَّةَ؛ فِي دار النَّدوة.. فقال لهم ـ والغَضَبُ قَد بَدَا على وَجْهِهِ ـ: يا مَعْشَرَ قُريشٍ، إنه قد حَضَرَ هذا المَوْسِمُ، وإنْ وُفُودَ العَربِ ستَقْدمُ عليكم من كُلِّ فجٍّ، وقد سَمِعُوا بأمرِ صاحِبِكُمْ، فأَجْمِعُوا فيه رأياً واحِداً،

ولا تَخْتَلِفُوا فيكذِّب بعضُكم بعضاً ، ويردّ قولُكُمْ بَعْضَهُ ، فَيَفْسُد أمْرُكُمْ..

فنظرَ بعضُهم إلى بعضٍ ، ثم قالُوا: فماذا نقولُ يا أبا عبدِ شَمْسٍ؟!

فقال: قُولوا وأنا أسمعُ لكم.

وراحَ كُلُّ واحدٍ يقترحُ: إنه ساحرٌ! إنَّه كاهِنٌ! إنَّهُ مجنونٌ! إنَّهُ شاعِرٌ! لكنَّ ذلك لم يُعْجِبِ الوليدَ أبداً ، فقال: إنَّ القرآنَ الذي أُنْزِلَ على محمدٍ ليس كما تَقُولُون ، وإنَّ محمداً ليس بشاعرٍ ولا ساحرٍ ولا كاهنٍ ولا مجنونٍ..

فقالُوا: فماذا تقولُ يا أبا عَبْدِ شمسٍ؟

قالَ: إنَّ أَقْرَبَ القَوْلِ فيه أنه ساحرٌ جاء بقولٍ هو سِحْر ، يُفَرِّقُ بين المرء وبين ابنه ، وبين المرءِ وأبيه ، وبين المرءِ وأخيه ، وبين المرءِ وَزَوْجَتِهِ.

ثمَّ استدركَ (الوليدُ) فقال: فواللهِ ما فيكُم رجلٌ أعلمُ ولا أبصرُ بالشِّعْرِ مِنِّي ، واللهِ ما شِبْهُ هذا الذي يَقُولُهُ شيئاً من هذا ، واللهِ إنَّ لِقَوْلِهِ الذي يقولُه لحلاوةً ، وإنَّ عليهِ لَطَلاوةً ، وإنَّه لمثمرٌ أعلاه ، مُغْدِقٌ أَسْفَله ، وإنه ليعلُو وما يُعْلَى عليه ، وإنهُ لَيَحْطُمُ ما تحته..

قال (أبو خالد): لقد أنطق اللهُ (الوليدَ) بِكَلِماتِ الحَقِّ.. فهذا كلامُ مَدْحٍ للقرآنِ الكريم... فهل آمنَ بذلك أم كَفَرَ؟

تابَعَ الشَّيْخُ الحكايةَ: لكنَّ عدوَّ الله (أبا جَهْلٍ) لم يُعْجِبْهُ ذلكَ مِنَ (الوَلِيد).

فنظرَ إليه ، وقال: واللهِ لا يَرْضَى عنكَ قَوْمُكَ حتَّى تَقُولَ فيه قولاً..

ففكَّر (الوليدُ) ثم قال: هذا القرآنُ سِحْرٌ يُؤْثَرُ..!.

قالت (أُمُّ خالدٍ): عن إذْنِكَ يا شَيْخَنا.. أريدُ أَنْ أَتْلُو بَعْضَ آياتٍ مِنَ القرآن تتحدَّثُ عن قِصَّةِ الوليدِ ابنِ المُغيْرَةِ ..

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدثر: ١١ ـ ٣٠].

قالَ الشَّيْخُ: صَدَقَ اللهُ العَظِيْم.. وطَيِّبَ اللهُ أَنْفَاسَكِ يا أُمَّ خالدٍ.. أرأَيْتُمْ يا أَحْبابي إلى هذا الوَعِيدِ من الله تعالى:

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾.

قال (طارِقٌ): ولكنَّه يستحقُّ ذلك كُلَّهُ؟ ألم يَرَ

بأمِّ عَيْنِهِ كلامَ القرآنِ؟! أَلَمْ يَشْهَدْ بأنَّ القُرآنَ كلامٌ فوقَ النَّاسِ؟! ثمَّ بَعْدَ ذلكَ يقولُ إنَّه سِحْرٌ!!

قالَ (أبو خالدٍ): أَجَلْ، فاللهُ يُجازِي المُسِيءَ جَزاءً يَسْتَحِقُّهُ، كما يُعْطِي المُحْسِنَ أجراً كبيراً:

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٩].

قالَ الشَّيْخُ: وفي هذا دَرْسٌ عَظِيْمٌ لِكُلِّ مَنْ لديه عَقْلٌ وتَدَبُّرٌ.. فالعنادُ والاستكبارُ والاسْتِهزاءُ بالدِّين.. لا يُفِيْدُ أحداً.، والمسألةُ كما قالَ اللهُ تعالى، وهو يُقَرِّرُ حَقِيقَةً مُهِمَّةً، وهي: أنَّ المالَ والولدَ والجَاهَ والعَشِيرةَ .. لا ينفعُ الإنسانَ أبداً.. لأنَّ ذلك كلَّهُ يَبْقَىٰ في الدُّنيا، وينقلبُ الإنسانُ إلى ربِّهِ وحيداً، ليسَ معه إلا عَمَلُه:

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

[الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾

وحَاوَلَ (الوليدُ) مَعَ زُعَماءِ قُرَيْشٍ صَدَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ دَعْوَتِهِ.. ، واسْتَخْدَمُوا لذلكَ كُلَّ الوَسائِلَ والحِيَلِ.

وذاتَ يَوْمٍ كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَطُوفُ بِالكَعْبَةِ ، فاعْتَرَضَهُ الأسودُ بنُ المُطَّلِبِ ، والوليدُ بنُ المُغِيْرَةِ ، وأُمَيَّةُ بنُ خَلَف ، والعاصُ بنُ وائلٍ... فقالُوا: يا مُحَمَّدُ هَلُمَّ فلنعبدْ ما تَعْبُدُ ، وتعبدُ ما نَعْبُدُ ، فإنْ كان الذي تعبدُ خيراً مِمّا نَعْبُدُ ، كنّا قَد أَخَذْنَا بِحَظِّنا مِنْه ، وإنْ كان ما نَعْبُدُ خَيراً ممّا تَعْبُد كنتَ قَدْ أَخَذتَ بِحَظِّكَ مِنْهُ ، فأنزل اللهُ تَعالى:

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾

[الكافرون: ١ - ٦].

فباءتْ مُحَاوَلَتُهم بالإخْفاقِ ، وثَبَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ أَصحابِهِ ثَباتاً لا مَثِيلَ لَهُ ، وتَحَمَّلُوا من أجلِ ذلكَ الشَّيء الكثيرَ.. وسَقَطَ مِنهم شُهَداءُ.. وكان النَّصْرُ للإسلامِ ، لأنَّهُ حَقٌّ مُرْتَبِطٌ بالحَقِّ الأعلى ، وهو اللهُ سُبحانَهُ وتعالى.

والتفتت (بُشرى) من نافذةِ السَّيَّارَةِ إلى الطَّريقِ ، فصاحت: هيه.. لقد وَصَلْنا إلى العاصِمة... وها هِي اللافتةُ قد كُتِبَ عَلَيها: أهلاً بكم في دِمَشْق الفَيْحاءِ.

ووصَلُوا إلى بيت (أمِّ عاصمٍ) وشارَكُوهُم في الفَرْحَةِ الكُبْرَى ، وتَنَاوَلُوا طَعَامَ الغَداءِ ، واسْتَمَعُوا إلى قِراءةِ قِصَّةِ المَوْلِدِ النَّبويِّ الشَّرِيْفِ.. وذلكَ مِنْ فرقةِ الإنْشادِ... وكانَ لِقاءً رائعاً.. حيثُ الأعمامُ ، والعَمَّاتُ ، وَالخَالاتُ ، مع أَوْلادهم.. ومع الأصدقاء والجِيرانِ.. والكُلُّ قدِ

اجتَمَعُوا في هذه المُناسبةِ الطَّيِّبةِ المُباركة..

وبينما هُمْ يَتَنَاوَلونَ بَعْضَ أنوَاعِ الحَلَوِيَّاتِ الشَّامِيّةِ.. إذْ دَخَلَ (الشَّيْخُ حُسَيْن) الغُرفَةَ الصَّغيرةَ في زاويةِ البَيتِ ، وذلك ليُصَلِّي صلاةَ العَصْرِ..

ولكنْ لمَّا طالَ غِيابُهُ عنهم ، هُرِعَتْ (أمُّ عاصِمٍ) إلى الغُرفةِ... فرَأَتْهُ قَدْ فَارَقَ الدُّنيا ، وهو ساجِدٌ بينَ يَدي اللهِ تعالى:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

فَوَداعاً يا جَدَّنا الرَّاحِلَ.. وإنّا لله وإنَّا إليه راجِعُونَ..

والحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِيْنَ